فكر الشوكاني الاجتماعي
وموقعه من الفكر الاجتماعي العربي الحديث

Al - Shawkhani's Social Thought: Its Position in the Modern Social Arabic Thought

أ.م.د. سعد إبراهيم العلوي

أستاذ تأريخ الأفكار المشارك، عميد كلية التربية والآداب والعلوم ، مأرب، جامعة صنعاء.

2003
١٤٢٤
جامعة الأندلس
للعلوم والتقنية
Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

ISSN : 2410-1818

فكر الشوكاني الاجتماعي
وموقعه من الفكر الاجتماعي العربي الحديث

الملخص :

هدف البحث إلى دراسة وتحليل فكر الشوكاني الاجتماعي ، والوقوف أمام معالمه وتحديد موقعه في تاريخ الفكر الاجتماعي العربي الحديث .

ولتحقيق الهدف قام الباحث بتحديد وتحليل الأسس الفكرية والشروط الاجتماعية – التاريخية الدافعة لنشأة فكر الشوكاني الاجتماعي ، وتصنيف قضاياه ، وتبيان رؤيته للإصلاح الاجتماعي والفكري ، وإثبات أسبقيته الزمنية والمبدأيه لمفكري المرحلة التأسيسية في تاريخ الفكر الاجتماعي العربي الحديث (١٧٩٨ -١٩١٤م).

وقد أظهر البحث دور كل من التكوين الفكري والمعرفي للشوكاني وجملة ممارساته الفكرية والاجتماعية والسياسية . بالإضافة إلى الواقع الاجتماعي اليمني المأزوم حينها في نشأة فكر الشوكاني الاجتماعي . وأوضح البحث الصلة القائمة بين القضايا والمشكلات التي تقع ضمن دائرة فكر وتفكير الشوكاني ، وتلك التي يتضمنها الفكر والتفكير الاجتماعيين وإثبات طابعها الاجتماعي وصلتها بالواقع الاجتماعي اليمني . كما بين البحث أن رؤية الشوكاني لمعالجة أوضاع ومشكلات مجتمعه قد تجاوزت الإطار الفقهي الى اعتبارها رؤية فكرية ذات بعد ومضمون اجتماعيين .

كما أثبت البحث أن الشوكاني يمتلك أسبقية زمنية ومبدأية بإعتباره مؤسساً ومفتتحاً للتفكير في قضايا الفساد والتعصب المذهبي والفكري والظلم الاقتصادي. مقارنة بالطلائع الأولى من مفكري المرحلة التأسيسية. ويستحق بالتالي أن يتبوأ موقعه ضمن مفكري المرحلة التأسيسية في تاريخ الفكر الاجتماعي العربي الحديث (١٧٩٨ - ١٩١٤م) .

ISSN : 2410-1818

Abstract :

The research aims to study and analyse Al-Shawkhani's social thought examining its themes and significance in shaping the modern social Arabic thought.

To achieve this goal, the research examines and analyses the intellectual, social and historical background that inspired Al-Shawkhani's social thought. The research also highlights Al-Shawkhani's views on the social and the intellectual reform indicating that his views pioneered those of the intellectuals of the foundation stage of the history of modern social Arabic thought(1798-1914).

In examining the role of Al-Shawkhani's social and the intellectual thought, the research points out the social, intellectual and political activities of Al-Shawkhani. In addition, the research examines the social and complicated problems in Yemen and its role in shaping Al-Shawkhani's social thought. The research also talks about the Al-Shawkhani's views and attempts to find solutions to these problems.

Moreover, the research indicates that Al-Shawkhani's views are not grounded on religious perspectives, but an intellectual thought based on social dimensions.

Finally, the research proves that Al-Shawkhani's thought pioneers other works in dealing with the corruption issues, the sectarian bigotry and the social injustice. The research concludes that Al-Shawkhani is worthy to be listed among the intellectuals of the foundation stage in the history of the modern, social, and Arabic thought (1798-1914).

ISSN : 2410-1818

المقدمة :

تعد الفترات التاريخية التي يواجه فيها أي مجتمع من المجتمعات أزمات عميقة وتحديات كبرى ، من الفترات التي تتداخل فيها الأمور ، وتضطرب المرتكزات الاجتماعية وتختلط الرؤى ، ويكون المجتمع حينها بحاجة إلى نوعية من أفراده، كي تقوم بأدوار وأعمال تسهم في إصلاحه وتطويره نحو الأفضل(١) .

ويمثل المفكرين والمثقفين بما يمتلكونه من قدرات فكرية وطاقات إبداعية ، وبما يؤدونه من أدوار اجتماعية الفئة الأكثر قدرة على فهم وتشخيص ما يعانيه المجتمع من أزمات ، وما يمَّر به من تحديات ، والأقرب بالتالي لصياغة ورسم الرؤى والبرامج والمشاريع الإصلاحية القادرة على السير به ، وإخراجه من طور الأزمة ، إلى طور الانفراج والتجاوز ، ومن حالة الجمود والتخلف إلى حالة النهوض والتقدم (٢).

من هنا فإنه في مثل هذه الفترات المضطربة من تاريخ المجتمعات ينشأ الفكر الاجتماعي والذي تنتجه النخب الفكرية على إختلاف الوانها وتوَّجهاتها ، وتنتشر وتتنوع الكتابات الفكرية التي تعرف إصطلاحاً بكتابات الفكر الاجتماعي (٣).

وتذهب عدد من الدراسات المتعلقة بتاريخ الفكر العربي الحديث إلى تصنيف كتابات (رفاعة الطهطاوي، وبطرس البستاني ، خير الدين التونسي، جمال الدين الأفغاني ، الكواكبي، محمد عبده، رشيد رضا، فرج انطون ، وشبلي شميل وقاسم أمين) تحت ما يعرف بكتابات الفكر الاجتماعي. كما تدرج تلك الكتابات الفكرية ضمن فكر المرحلة التأسيسية من تاريخ الفكر الاجتماعي العربي الحديث (١٧٩٨ -١٩١٤) (٤).

ولقد برَّرت تلك الدراسات مسألة اختيارها لذلك الإجراء المنهجي بناء على الاعتبارات والمعطيات التالية :

- الارتباط المتبادل بين الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ -١٨٠٣) وبين نشوء أسئلة التجديد، التنوير، النهضة، الإصلاح، في الفكر العربي الحديث.
- القضايا والمواضيع التي تعامل معها فكر ومفكري المرحلة التأسيسية من تاريخ الفكر الاجتماعي العربي الحديث . ومنها مواضيع مثل الجمود الفكري ، الإستبداد ، الجهل والأمية، الفساد، المرأة ، التعليم ، المواطنة..

ISSN : 2410-1818

- مشاريع الإصلاح الفكري والاجتماعي في الفكر العربي الحديث التي أرتبطت بفكر ومفكري المرحلة التأسيسية (١٧٩٨ -١٩١٤) .
- الأدوار الفكرية والاجتماعية والسياسية التي اضطلع بها مفكري المرحلة التأسيسية في تاريخ الفكر الاجتماعي العربي الحديث (١٧٩٨ -١٩١٤م) .

في ضوء ما سبق شهد الربع الأخير من القرن الثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، ذلك الحضور الفكري والتاريخي لرائد من رواد فكر الإصلاح والتجديد في اليمن والعالم العربي والإسلامي وهو الإمام محمد بن علي الشوكاني (١٧٦٠ - ١٨٣٤م).

ولقد حظي فكر الشوكاني باهتمام الكثير من الباحثين والدارسين الذين ينتمون لنظم معرفية مختلفة كالتفسير والفقه والتاريخ والفلسفة والعلوم السياسية والعلوم التربوية(٥). حيث تعددت وتنوعت التحقيقات والدراسات التي غطت جوانب مختلفة من فكره، منها الفكر السياسي والتربوي والديني. الأمر الذي يشير إلى ثراء وتنوع فكر الشوكاني والاعتراف بالمكانة البالغة الأهمية التي يحتلها في تاريخ الفكر العربي و الإسلامي الحديث.

وعلى الرغم من غزارة وتنوع كتابات الشوكاني الفكرية والتي بلغت نحو مائة وثمانين مصنفاً علمياً(٦). إلا أنه لم يجر تصنيف تلك الكتابات الفكرية تحت ما يعرف اصطلاحاً بكتابات الفكر الاجتماعي .كما أن فكره لم يندرج ضمن فكر المرحلة التأسيسية في تاريخ الفكر الاجتماعي العربي الحديث.

وبدورنا نتساءل : لماذا لم تندرج كتابات الشوكاني الفكرية تحت ما يعرف بكتابات الفكر الاجتماعي ؟ ولماذا لا يحظ الشوكاني وفكره بموقعه ضمن فكر ومفكري المرحلة التأسيسية (١٧٩٨ -١٩١٤م) في تاريخ الفكر الاجتماعي العربي الحديث ؟ هل يعود الأمر إلى فكر الشوكاني نفسه ؟ أم للقضايا والموضوعات التي تعامل معها فكره ؟هل يرجع ذلك إلى الكيفية التي أنبنت عليها مسألة التأريخ لتاريخ الفكر الاجتماعي العربي الحديث وتصنيف رواده ؟ وهل للحقيقة التي مؤداها أن الأبحاث والدراسات على كثرتها قد خلت على حد علم الباحث من دراسة تتناول فكر الشوكاني الاجتماعي؟

ISSN : 2410-1818

لذلك كله ، وفي ضوئه جاءت مشكلة الدراسة الراهنة التي تبحث في قضية فكر الشوكاني الاجتماعي . ويحاول الباحث من خلالها تحقيق هدف رئيسي هو الوقوف أمام معالم فكر الشوكاني الاجتماعي ، وتحديد موقعه في تاريخ الفكر الاجتماعي العربي الحديث . وجاءت تحت مظلة هذا الهدف العام الأهداف الفرعية الآتية :

تحديد وتحليل الشروط الفكرية والاجتماعية - التاريخية وتبيان دورها في نشأة فكر الشوكاني الاجتماعي .

تصنيف القضايا والموضوعات الرئيسية في كتابات الشوكاني الفكرية وتوضيح صلتها بقضايا الفكر والتفكير الاجتماعيين .

دراسة وتحليل رؤية الشوكاني للإصلاح الاجتماعي والفكري : إثبات سبق الشوكاني الزمني والمبدئي لمفكري المرحلة التأسيسية في تاريخ الفكر الاجتماعي العربي الحديث (١٧٩٨ -١٩١٤) في بعض القضايا والتحليلات والرؤى بإعتباره مؤسساً ومفتتحاً للتفكير فيها وداعياً لمعالجتها وإصلاحها .

تقويم فكر الشوكاني الاجتماعي : وفي ضوء ما تقدم يمكن تحديد تساؤلات الدراسة فيما يلي :

- ما الشروط الاجتماعية - التاريخية والأسس الفكرية التي أنطلق منها فكر الشوكاني الاجتماعي ؟
- ما القضايا التي تقع ضمن دائرة فكر وتفكير الشوكاني ؟ وما علاقتها بالفكر والتفكير الاجتماعيين .
- ما المؤشرات الدالة على علاقة فكر الشوكاني بقضايا ومشكلات مجتمعه ؟
- ما العناصر التي وجهت نظر الشوكاني لصياغة وتقديم رؤيته للإصلاح الفكري والاجتماعي ؟ وما المجالات التي أستهدفتها الرؤية بالمقاربة والإصلاح؟
- كيف يمكن تحديد موقع فكر الشوكاني من الفكر الاجتماعي العربي الحديث؟

بناءً على تساؤلات الدراسة السابقة تتحدد المنهجية الخاصة بها ، والتي تتمثل في منهجية التحليل السوسيولوجي المتصلة بعلم اجتماع المعرفة . بالإضافة إلى المنهج المقارن

ISSN : 2410-1818

واللذان يتوافقان مع هدف الدراسة الرئيسي الخاص بالكشف عن معالم فكر الشوكاني الاجتماعي وتحديد موقعه في الفكر الاجتماعي العربي الحديث . فالهدف الرئيسي للدراسة والتساؤلات المختلفة المرتبطة به سوف يتم التعامل معها منهجياً في جزء منها من خلال دراسة وتحليل فكر الشوكاني في ضوء السياق الاجتماعي والثقافي الذي ظهر فيه من ناحية، وفي ضوء الأوضاع الاجتماعية - التاريخية والشروط الفكرية التي أنتجته من ناحية أخرى. وفي هذا الإطار تصبح دراستنا لفكر الشوكاني مؤشراً على طبيعة علاقته بالمجتمع وبالقضايا المجتمعية التي تناولها .

كما سيتم التعامل منهجياً مع الجزء المتعلق بتحديد موقع الشوكاني في تاريخ الفكر الاجتماعي العربي الحديث باللجوء إلى المنهج المقارن . فهو يمثل وسيلة منهجية ملائمة نستطيع من خلاله أن نثبت سبق الشوكاني الزمني والمبدئي لمفكري المرحلة التأسيسية في بعض القضايا والتحليلات والرؤى. وبالتالي يمكننا تحديد موقعه في تاريخ الفكر الاجتماعي العربي الحديث .

أولاً : الشروط الفكرية والاجتماعية – التاريخية لنشأة فكر الشوكاني الاجتماعي

لتعيين فكراً ما بأنه يمثل فكراً اجتماعياً ، ولتصنيف مفكراً ما بأنه مفكراً اجتماعياً. يستوجب أولاً : البحث في الشروط الفكرية والاجتماعية - التاريخية التي دفعت باتجاه ظهور مثل ذلك الفكر، وذلكم المفكر . كما يستوجب ثانياً : تصنيف القضايا التي يهتم بها الفكر والتفكير الاجتماعيين. من منظور أن لهذا الفكر قضاياه التي يفرزها الواقع الاجتماعي والتاريخي، وتشكل بالتالي مجال اهتمام وتحليل ومقاربه من قبله.ويستوجب ثالثاً وأخيرا الكشف عن مدى امتلاك ذلكم الفكر لرؤية ومشروع للإصلاح الاجتماعي والفكري .

من هنا نسعى في هذا المحور للبحث عن مدى توافر شروط فكرية واجتماعية تاريخية لدى الشوكاني ، وفي واقعه الاجتماعي - التاريخي تفسح المجال لنشأة الفكر الاجتماعي لديه ، وتصنيفه بأنه مفكراً اجتماعياً.

وللوصول لذلك ، يتطلب منا الوقوف والبحث فيما يلي :

ISSN : 2410-1818

التكوين الفكري والمعرفي للشوكاني :

ولد الإمام محمد بن علي الشوكاني بمدينة صنعاء عام ١٦٧٠م وينحدر من أسرة تنتمي إلى فئة القضاة . وهي إحدى الشرائح الاجتماعية المكّونة للمجتمع اليمني(٧).

والشيء اللافت للنظر في شخصية الشوكاني ، والذي كان له بالغ الأثر في تكوينه الفكري والمعرفي ، يتمثل في ذكاءه الحاد من جهة ، وشغفه بالعلم من جهة ثانية .

ولقد تجلى ذكاءه الحاد وسرعة استيعابه للكثير من العلوم والمعارف العامة في وقت قصير وفي مرحلة مبكرة من عمره (٨). كما ساعده ذكاءه أيضاً على البدء بتحرير أبحاثه ومؤلفاته ، والانشغال بإفتاء العامة من أهل مدينة صنعاء وغيرها من نحو العشرين من عمره (٩).

أما شغفه للعلم ، فلقد تجسد ذلك في أن يتفرغ له تفرغاً كلياً حيث كان منشغلاً في جميع أوقاته بالعلم "درساً وتدريساً وإفتاءً وتصنيفاً"(١٠).

ولم يقتصر اهتمام الشوكاني على دراسة العلوم الشرعية ، بل امتد اهتمامه إلى دراسة العلوم (غير الشرعية) كالعلوم العقلية مثل: الرياضيات والكيمياء والهندسة. بالإضافة إلى علوم الفلسفة والمنطق والتاريخ والأدب . الأمر الذي يشير إلى انفتاح الشوكاني الفكري على كل علوم ومعارف عصره. ولقد ساعد ذلك في أن يتصف تكوينه الفكري والمعرفي بمواصفات موضوعيه. منها أنه حاملاً لمعارف وعلوم مختلفة ، ذات مصادر معرفية متنوعة .بالإضافة إلى امتلاكه لثقافة موسوعية.

لقد استطاع الشوكاني بما يتميز به من قدرات عقلية وملكات إبداعية أن يصل إلى مرتبة الاجتهاد المطلق غير المقيد قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره (١١). كما وصل عدد مصنفاته العلمية نحو مائة وثمانون مصنفاً علمياً في مختلف ميادين الفكر والمعرفة .

إن مفكراً بهذا التكوين الفكري والمعرفي ، وبتلك القدرات الإبداعية الإستثنائية قياساً بعلماء مفكري عصره ، لا يمكن أن تثير اهتمامه القضايا الدينية وحدها من شعائر وعبادات وحدود وما إليها ، ولا الفقه والأصول وجملة العلوم الشرعية. بل - قضايا الواقع الاجتماعي والسياسي -. خصوصاً تلك التي تتعلق بالمصالح والحقوق

ISSN : 2410-1818

العامة . بالإضافة الى القضايا الكبرى الفكرية منها والمجتمعية التي تواجه المجتمع وتتطلب القابلية على الإبداع الفكري والمقدرة العالية على التحليل والنقد .

الدور الاجتماعي والسياسي :

تميزت فئة القضاة في المجتمع العربي والإسلامي بأنها ذات صلة عميقة بحركة الواقع الاجتماعي بكل ما كان عليه ذلك الواقع من حراك مجتمعي شائك ومعقد . بحكم ما لديها من الصنعة التي وظيفتها التعامل مع الواقع الاجتماعي بلا انقطاع. (١٢) ولا يختلف الوضع بالنسبة لليمن . فلقد كان القضاة على صله عميقة بالمجتمع اليمني، في ظل ما تملكه هذه الفئة من مهارات ، وما يفرضه عليها موقعها من أدوار اجتماعية بدأت فاعلة في التعامل مع المجتمع بمختلف شرائحه وتكويناته الاجتماعية .

كما كان لفئة القضاة وعلى وجه الخصوص كبار القضاة ، الدور الواضح في صياغة العلاقة بين الدولة والمجتمع من جهة ، وبالتأثير على القرار السياسي وتحديد مسار الصراعات على السلطة من جهة ثانية . (١٣)

ولقد جاءت موافقة الشوكاني بقبوله منصب " قاضي القضاة (١٤)" أثناء فترة حكم الإمام " المنصور بن المهدي العباس(١٣)" (١١٥١ -١٢٢٤هـ) لتشكل الفرصة الواقعية والوسيلة التي تجعل من دوره الاجتماعي أكثر إرتباطاً بالواقع المجتمعي ومستمداً منه .

في حين كان لإشراك الأئمة له أي - الشوكاني - في الإشراف على السياسة الداخلية (١٥)، الأثر البالغ في تراكم خبراته السياسية والاجتماعية. بالإضافة إلى ما يتمتع به من خبرات فكرية .

إن تعيين الشوكاني على رأس المؤسسة القضائية في اليمن ،وإشراكه في الإشراف والمتابعة لشئون السياسة الداخلية خلال فترة حكم بعض الائمة من السلالة القاسمية (١٦) كان قد أكسبه خبرة واسعة بالواقع الاجتماعي والسياسي لليمن . كما أتاح له فرصة تاريخية للإطلاع والاقتراب من دائرة صياغة وصنع السياسات التشريعية والجبائية والإدارية، وما يترتب عنها من إجراءات تنفيذية تكون مسئولة في معظمها عن صنع قضايا ومشكلات الواقع الاجتماعي .

ISSN : 2410-1818

من هنا ساعدت الممارسة الاجتماعية والسياسية الشوكاني في التعرف عن قرب بطبيعة ونوع المشكلات التي يعاني منها مجتمعه والمسئولة بالتالي عن تدهور أوضاعه . وهذا ما دفعه في رأينا للتفكير بتلك المشكلات التي أفسح لها حيزاً كبيراً من كتاباته، وأصبحت مدار بحث وتحليل ومقاربة من قبله .

فكر الرواد من حركة التجديد والإصلاح :

شهد اليمن في الفترة من منتصف القرن السابع عشر الميلادي وحتى منتصف القرن الثامن عشر، ظهور كوكبة من العلماء والمفكرين المجددين في مجال الفكر الإسلامي الذين دعوا إلى نبذ التقليد والتعصب، ومحاربة البدع والخرافات ، وتمسكوا بحرية الاجتهاد والفكر. ولقد ترجموا ذلك كله في مؤلفاتهم القيمة التي غلب عليها طابع التجديد . ومن هؤلاء العلماء الرواد: الحسن بن احمد الجلال (ت١٠٨٤هـ) ، صالح بن مهدي المقبلي (ت١١٠٨هـ)، ومحمد بن إسماعيل الأمير (ت١١٨٢هـ) . حيث ترك فكر هؤلاء الرواد أثره الواضح على فكر الشوكاني ، وعلى وجه الخصوص ابن الأمير ، الذي تأثر الشوكاني بأراءه كثيراً وأعجب بمواقفه العلمية والعملية(١٧).

أوضاع المجتمع اليمني في عهد الشوكاني :

شهد المجتمع اليمني في عهد الشوكاني أوضاعاً متدهورة ومضطربة على الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية. ولقد تجسدت مظاهرها في سيادة الظلم وانتشار الفقر والجهل والتعصب المذهبي والفوضى والفتن(١٨) . حيث بلغت أوضاع المجتمع اليمني مرحلة من الخطورة هددت من تماسك البناء الاجتماعي والسياسي ، وبدأت تلحق به الكثير من التصدعات. ويصف الشوكاني ذلك الوضع قائلاً : " فباللّه كم من بحار دم أراقت ، ومن نفوس زهقت، ومن محارم هتكت ، ومن أموال أباحت ، ومن قرى ومدن طاحت بها الطوائح وصاحت عليها النوائح ، بعد أن تعطلت وناحت بعرصاتها المقفرات النوائح " (١٩) .

إن واقعاً اجتماعيا مضطرباً ومتدهوراً كواقع المجتمع اليمني في عهد الشوكاني لا يمكن إلا أن يدفع مفكرنا بما يمتلكه من سلطة معرفية على درجة عالية من الثراء والتنوع ، وما يشغله من موقع اجتماعي وسياسي (قاضياً للقضاة ومستشاراً) ، نحو التفكير بما آلت إليه أوضاع مجتمعه من تشظي وفوضى وفتن والبحث في أسبابها ،

ISSN : 2410-1818

وإقتراح الحلول والمقاربات المناسبة لها. وهذا ما قام به الشوكاني وعبر عنه : " فلما تصورت هذه الفتنة أكمل تصور، وإن كانت متفردة عند كل أحد ، ضاق ذهني عن تصورها فأنقلبت إلى النظر في الأسباب الموجبة لنزول المحن وحلول النقم من ساكني هذا القطر اليماني"(٢٠).

نخلص من كل ما سبق إلى أن هناك شروطاً فكرية واجتماعيه تاريخية تقف وراء نشأة التفكير والفكر الاجتماعيين لدى الشوكاني نوجزها في النقاط التالية :

أ) واقع المجتمع اليمني المضطرب والمتدهور وما أفرزه من مشكلات بلغت في تعقيدها مستوى جعل ذهن الشوكاني "يضيق من تصورها " .

ب) الممارسة الاجتماعية والسياسية للشوكاني " قاضياً ومستشاراً ". وما أكتسبه خلالهما من خبرات بالواقع الاجتماعي والسياسي اليمني ، وما أتاحت له من فرصة للتعرف عن قرب بمشكلات وقضايا ذلك الواقع .

ج) المكانة الفكرية للشوكاني كعالم مجتهد ، ومفكر مجدد ومبدع. والتي لا يمكن إلا أن تدفعه لأداء دوره الاجتماعي والفكري المتمثل في النظر والتفكير بما أصاب مجتمعه من "محن ونقم"، والعمل على تحديد أسبابها ، وتحليل وتشخيص ونقد مظاهرها ، وتقديم رؤيته في الإصلاح المجتمعي .

د) التأثير العميق الذي تركته الأفكار والآراء والمواقف التاريخية للطلائع الأولى من رواد التجديد والإصلاح في اليمن على الشوكاني وعلى اهتماماته الفكرية.

لاشك إن توفر شروط فكرية واجتماعية - تاريخية تشكل دافعاً قوياً لنشأة الفكر والتفكير الاجتماعي. ولكن هذه الشروط وحدها ليست كافية للاستنتاج بأن الشوكاني يمتلك فكراً اجتماعيا.

لذلك يستوجب علينا الانتقال إلى مستوى آخر من البحث والتحليل والذي نحاول من خلاله تصنيف وتحليل القضايا التي تقع ضمن دائرة اهتمام وتفكير الشوكاني و تبيان مدى صلتها بالفكر والتفكير الاجتماعيين .

ISSN : 2410-1818

ثانياً : قضايا المجتمع اليمني وموقعها من فكر الشوكاني

تقف أمام هذا المحور مجموعة من الأسئلة وهي : ما نوع القضايا التي أفرزها واقع الشوكاني الاجتماعي -التاريخي ؟ وهل تلك القضايا تقع ضمن دائرة اهتمام الفكر والتفكير الاجتماعيين؟ ومن أي منطلق ، وبناءً على أي محددات أتجه الشوكاني لوصف وتشخيص تلك القضايا ؟

لمناقشة وتحليل القضايا المعروضة أعلاه ، كان لابد لنا من العودة إلى إنتاج الشوكاني الفكري للكشف عن القضايا الأساسية التي تقع ضمن دائرة اهتمامه وتفكيره . بالإضافة إلى البحث في العوامل الأخرى كالواقع الاجتماعي - التاريخي ، والممارسة الاجتماعية والسياسية للشوكاني ، ودورهما في أن تنال تلك القضايا نصيبها من الاهتمام والتحليل والمقاربة من قبله.

في إطار قراءتنا وتحليلنا لما هو متاح ومتوفر من إنتاج فكري للشوكاني، في شكل كتب ورسائل وفتاوى . أمكن لنا أن نرصد أربع قضايا تتوزع على كامل ذلك الإنتاج ، وعلى النحو الآتي :

التعصب المذهبي :

تعد قضية التعصب المذهبي من القضايا التي شغلت مساحة واسعة من تفكير الشوكاني ، وخصَّص لها جزءً كبيراً من كتاباته (٢١). وإن ما يفسر إهتمام الشوكاني العميق بقضية التعصب المذهبي لا يرجع فقط إلى ما تمثله من خطورة على الدين والعقل والعلم كما يذهب إلى ذلك بعض الباحثين (٢٢) . بل بإعتبارها قضية كبرى مصيرية تواجه المجتمع اليمني والأمة الإسلامية . ولها أبعادها الفكرية والاجتماعية والسياسية . ولقد عبر الشوكاني عن ذلك في إشارته حول المتعصبة وكيف " أنهم قد طبقوا جميع أقطار الأرض الإسلامية وصارت المدارس والفتاوى وجميع الأعمال الدينية بأيديهم ... وبأيديهم الأمر والنهي والدولة والصولة " (٢٣).

لمعرفة كيفية تعامل الشوكاني ومقاربته لقضية التعصب المذهبي منهجياً وفكرياً وواقعياً سنقوم بإخضاع قضية التعصب المذهبي إلى ثلاثة مستويات من التحليل . سنحاول من خلال المستوى الأول تحديد وتحليل أسباب التعصب المذهبي كما يتصورها الشوكاني

ISSN : 2410-1818

. وننتقل بعدها لبيان علاقة الواقع الاجتماعي ودوره في مقاربة الشوكاني لقضية التعصب المذهبي . وننتهي عند مسألة وعي الشوكاني لأبعادها السياسية والاجتماعية والفكرية.

بالنسبة للأسباب والعوامل التي تقف وراء نشأة التمذهب والتعصب المذهبي فلقد أرجعهما الشوكاني إلى الآتي :

البيئة والتنشئة الاجتماعية السلبية :

تلعب البيئة والتنشئة الاجتماعية السلبية في نظر الشوكاني دورا أساسيا بفرض المذهب ونشأة التعصب المذهبي وذلك " حين يتمذهب أهل بلد من البلدان بمذهب معين ويعتقدون أنه الشريعة وأن الحق بأيديهم وأن غيرهم على الخطأ والضلال والبدعة ، وأهل المذهب الآخر يقابلونهم بمثل ذلك . والسبب أنهم وجدوا أبائهم وسائر أقربائهم على ذلك .. وأنظم إلى ذلك قصورهم عن إدراك الحقائق بسبب التغيير الذي ورد عليهم من وجوده قبلهم" (٢٤).

الدولة :

للدولة علاقة قوية وتأثير واضح في فرض المذهب ونشأة التعصب المذهبي . وذلك حين تتبنى المذهب الذي يجسد مصالحها ، ويمنحها شرعية الحكم . وفي ذلك يقول الشوكاني : " الناشئ في دولة ينشأ على ما يتمظهر به أهلها فيظن انه الدين الحق والمذهب العدل..وليخبرنا من ذلك الذي يستطيع أن يصرخ بين ظهراني دولة من تلك الأعمال بما يخالف اعتقاد أهلها " (٢٥) .

ولكي يؤكد الشوكاني على صحة وحقيقة ما ذهب إليه يعود إلى الواقع - واقع عصره - ليستمد منه ما يؤكد ويدعم تحليله النظري . حيث يتساءل قائلاً : " من يشك أو يتردد فيما ذكرته ، أو تردد في بعض ما سقته فليمعن النظر في أهل عصره . هل يستطيع أحداً أن يخالف ما يهواه السلطان من المذاهب . فضلاً عن أن يصرح الناس بخلافه. فأنظر هداك الله وإيانا من يتكلم من الساكنين في أرض الخوارج كبلاد عمان ونحوها مما يخالف مذهب الخوارج .. وكذلك من كان ساكناً ببلاد الروافض كبلاد الأعاجم ونحوها .. هل تجد رجلاً منهم يخالف ما هم عليه فضلاً عن أن ينكره عليهم.(٢٦) .

ISSN : 2410-1818

التقليد :

في سياق بحثه عن الأسباب التي تقف وراء نشأة التعصب المذهبي يتوقف الشوكاني عند التقليد. فكيف أستطاع الشوكاني أن يربط بين التقليد ، ودوره في نشأة التعصب المذهبي ؟

في هذا الإطار نلاحظ أن الشوكاني يحاول في البدء البحث عن اجابة لسؤال يتعلق بكيفية نشأة التقليد. ليجده حين يتم اختزال الشرع في عمل فكري لمجموعة من الأفراد سواءً كانوا أئمة مذاهب ، أو علماء ، أو شيوخ طرق . وإضفاء هالة من التقديس والتعظيم لهؤلاء الأفراد ، ولأفكارهم، ولأرائهم ، من قبل أنصارهم وأتباعهم ومؤيديهم. وتتم المداومة على ذلك، جيل بعد جيل دون ميل أو حيد. وبسببه يفتقد هؤلاء المقلدين القدرة على التفكير المستقل خارج دائرة فكر إمام المذهب او شيخ الطريقة . فتصبح أفكارهم وأرائهم تدور في إطار دائرة مغلقة . فينشأ مع مرور الزمن اعتقاد لديهم إن المذهب أو الرأي الذي يقلدونه هو الصح والحق، وغيره الخطأ والظلال. ويستمر ذلك الاعتقاد ويترسخ في الأذهان فينتهي بهم التقليد إلى التعصب(٢٧).

عند قيامنا بتحديد وتحليل أسباب التمذهب، ونشأة التعصب المذهبي كما يراها الشوكاني تبين لنا أن من هذه الأسباب ماله طابعاً فكرياً (التقليد) ومنها ما يحمل طابعاً اجتماعياً وسياسياً (البيئة الاجتماعية ، التنشئة الاجتماعية، الدولة) بالتالي : فإن قضية التعصب المذهبي وفقاً لذلك التحليل تنشأ من تفاعل وترابط العاملين الفكري والاجتماعي - السياسي .

بعد أن قمنا بتحديد وتحليل أسباب التعصب المذهبي كما يتصورها الشوكاني ننتقل إلى المستوى الثاني من التحليل والذي نحاول من خلاله توضيح علاقة فكر الشوكاني بالمجتمع . وكيف تمثل وقائع التاريخ من جهة ، والواقع الاجتماعي في عهده مرجعاً معرفياً يدعم تحليله النظري لقضية التعصب المذهبي من جهة ثانية.

في هذا السياق نلاحظ أن الشوكاني كان على وعي كامل بالآثار الخطيرة التي تلحقها قضية التعصب المذهبي على وحدة وتماسك النسيج الاجتماعي للمجتمع، وعملية استقراره . فالتعصب المذهبي يقول الشوكاني: "يترتب عليه من الفتن المفضية إلى سفك

ISSN : 2410-1818

الدماء وهتك الحرم وتمزيق الأعراض واستحلال ما هو في عصمة الشرع مالا يخفى على عاقل "(٢٨) .

ويستدل الشوكاني من وقائع التاريخ العربي الإسلامي ما يؤكد على صحة رأيه ويشير إلى " ما وقع بين السنة والشيعة ببغداد " . وكيف " كانوا يفعلون في كل عام فتناً ويهرقون الدماء وتنتهي بهم التعصبات إلى ما هو نوع من أنواع الجنون والحماقات القبيحة"(٢٩).

ليس التاريخ وحده مجال استدلال الشوكاني . وإنما الواقع الاجتماعي اليمني في عهده والذي شكل مجالاً واقعياً ، ومرجعاً معرفياً أستند إليه في تدعيم تفسيره وتحليله لقضية التعصب المذهبي . وفي ذلك يقول : " لقد شاهدت من التعصبات في هذه الفتنة ما بهرني من الخاصة والعامة ، والتي غلت مراجلها وكادت تعم جميع أهل صنعاء ، ثم تسري بعد ذلك إلى سائر الديار اليمنية . ولقد تغيرت بهجة هذه المدينة العظيمة وتكدرت مشاربها(٣٠).

والتعصب المذهبي له أنصاره من المتعصبين والذي يصفهم الشوكاني : بأهل الجهل ، وأهل المباشرة للمظالم ولا يقف الشوكاني عند هذا الوصف والذي يحمل دلالات فكرية واجتماعية . ولكنه يحرص على تحديد صفات المتعصب العقلية والنفسية والسلوكية في محاولة منه للإحاطة بقضية التعصب من مختلف جوانبها . فالمتعصب يقول الشوكاني : " إن كان بصره صحيحاً فبصيرته عمياء ، وأذنه عن سماع الحق صماء ، وقد يبلغ المتعصب في معاداة من يخالفه إلى إنزال الضرر به بيده . ولو نظر ذلك المتعصب بعين الإنصاف ورجع إلى عقله لكف عن فعله وأقصر عن غيه وجهله " (٣١).

بعد أن قمنا بتبيان كيفية استعانة الشوكاني بوقائع التاريخ والواقع الاجتماعي لعصره لدعم تحليله النظري لقضية التعصب المذهبي . ننتقل إلى المستوى الثالث من التحليل وهو الذي نسعى من خلاله الكشف عن وعي الشوكاني وإدراكه للعلاقة الترابطية القائمة بين الممارسات الاجتماعية والسياسية والفكرية للمتعصبين ، وبين انتشار مظاهر الظلم والفساد والجمود الفكري في المجتمع اليمني .

هناك ثلاث وقائع توزعت على كامل الإنتاج الفكري للشوكاني ، وشكلت مدار تحليل ونقد من قبله وفي ضوءها يتأكد لنا مدى إدراكه لدور الممارسات السياسية

ISSN : 2410-1818

والاجتماعية والفكرية للمتعصبين في تكريس الجهل والظلم والفساد والجمود وتتمثل في الأتي :

- التغرير على العوام في الأحكام والمعاملات وما يترتب عن ذلك من سيادة قيم وسلوكيات مخالفة للشريعة الإسلامية تؤصل لواقع اجتماعي فاسد .
- التغرير على الملوك والحكام بإتباع سياسات اقتصادية واجتماعية مخالفة للشرع . تشرّع وتكرّس لمزيد من الظلم الاجتماعي والاقتصادي .
- تفضيل النقل على العقل ، التقليد والتعصب على الاجتهاد . مما قاد ويقود إلى إصابة الفكر بالجمود وغياب الابتكار والإبداع (٣٢).

الجهل والأمية :

تعتبر قضية الجهل والأمية من القضايا التي سيطرت على فكر وتفكير الشوكاني ونالت نصيبها من التحليل والتشخيص ، وأفرد لها مساحة في كتاباته(٣٣).

ولقد لاحظ الشوكاني أثناء مقاربته لقضية الجهل والأمية انطلاقاً من رصده لبعض الممارسات الاجتماعية أن كثيراً من أفراد المجتمع يقومون باستحلال الدماء والأموال، ارتكاب المحرمات، الحلف بالأوثان، الإيمان بالخرافات والاعتقاد بالأموات ، حرمان النساء من الميراث . و على الرغم ما يترتب عن تلك الأفعال والممارسات من نتائج سلبية تنعكس بدورها على حياة الأفراد وواقعهم . إلا أن ذلك لا يجعلهم يمتنعون عن القيام بمثل هذه الممارسات. وقد أرجع الشوكاني سبب ذلك إلى الجهل المسيطر على هؤلاء الأفراد ، وانتشار الأمية بين أوساطهم، وهذا ما يجعلهم لا يدركون عواقب وأثار ما يقومون به من أفعال (٣٤).

في رأي الشوكاني يقود الجهل وانتشار الأمية بين أفراد المجتمع إلى سيادة قيم وممارسات مخالفة للشريعة الإسلامية، فتنتج واقعاً اجتماعياً فاسداً . كما يظل المجتمع يعاني خللاً خطيراً في عملية استقراره، وفي أمنه الاجتماعي، وأحواله المعيشية جراء الممارسات التي يلحقها به أفراده بسبب جهلهم (٣٥) .

ISSN : 2410-1818

ويحمل الشوكاني الدولة ومسئوليها من ولاة وقضاة تبعات ما يرتكبه أفراد المجتمع من أفعال وممارسات ، وما يعانونه من مشكلات، وذلك "لعدم قيامهم بتعليم وتربية وتوجيه وإصلاح عقائد الرعية " .

الفساد الإداري والمالي والسياسي :

اكتسبت قضية الفساد الإداري والمالي والسياسي أهميتها في فكر الشوكاني الاجتماعي، انطلاقاً من إدراكه العميق لدورها ومسئوليتها عن ما آلت إليه الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع اليمني في عهده من تردي عميق وانتشاراً لمظاهر الفقر والظلم وغياب الأمن الاجتماعي . فكيف أستطاع الشوكاني أن يصل إلى ذلك المستوى من الإدراك والرؤية ؟ ما الوقائع والممارسات المرتبطة بالفساد والتي شكلت مجال تفكير وتحليل ونقد من قبل الشوكاني ، ودفعته في الأخير إلى تحميل الفساد المسئولية الرئيسية عن ما يعانيه أفراد مجتمعه من مشكلات وعن ما يميز عهده من أوضاع .

من بين مؤلفات ورسائل الشوكاني المتعلقة بالفساد تشكل رسالته "الدواء العاجل في دفع العدو الصائل " بالإضافة إلى كتابه " أدب الطلب ومنتهى الأرب " مصدرين رئيسيين لفهم ومعرفة موقف الشوكاني الفكري والعملي (الاجتماعي - السياسي) من الفساد ولاستخلاص رؤيته لكيفية القضاء عليه والوسائل والأدوات المتبعة لتحقيق ذلك .

هناك فقرة للشوكاني تلخص بشكل موجز ومكثف العامل الرئيس الذي يقف وراء ما آلت إليه أوضاع اليمن في عهده ، بل وما يمكن ان يؤدي إلى انهيار الدولة والمجتمع إذا ما أستمر ذلك العامل في التجذر والتغلغل و السيطرة . إنه فساد العمال (مديري المديريات) والقضاة والولاة (محافظي المحافظات). أي - مسئولي الدولة - حيث يقول الشوكاني "أما العمال والقضاة والذين صاروا يتولون البلاد في هذا الإعصار فهم من أعظم الأسباب الموجبة لنزول العقوبة وتسلط الأعداء وذهاب البلاد والعباد وسفك الدماء واستحلال الحرام"(٣٦) . والسؤال الذي يتبلور هنا هو: كيف يكون هؤلاء القضاة والولاة مسئولون عن ذهاب البلاد والعباد؟

هناك مجموعة من الممارسات والوقائع المرتبطة بالفساد استطاع الشوكاني من خلالها دعم موقفه وبناء تحليله للقضية على أساس من الواقعية والموضوعية ، وعلى النحو الآتي :

ISSN : 2410-1818

أ) عدم قيام القضاة بما هو موكل اليهم من "الدفع عن الرعية من ظلم من يظلمها والأخذ بيد الظالم"(٣٧). فذالك النوع من القضاة يقول الشوكاني" غاية أمره ونهاية حاله أن يظل قاضي ليشاهد المظالم والمفاسد بعينه، وقد ينفذها بقلمه ويعين عليها بالقول .لأنه مادام في هذا المنصب لاهم له ولا طلب الا جمع الحطام من الخصوم تارة بالرشوة وتارة بالهدايا(٣٨)".

ب) استبدال القضاة والعمال إقامة الحدود الشرعية بالتأديب المالي. فيتم اخذ الأموال من الرعايا مرتكبي السرقة والزنا ومتعاطي الخمور والمخدرات(٣٩).

ج) أخذ القضاة غرامات مالية تفرض جبراً على المتخاصمين ويأخذونها كرهاً وأعتبرها الشوكاني من " من أرباب الظلم " .

د) شراء مناصب القضاء والإدارة بالمال والهدايا والرشوة ، " كما يشترى ما يباع في الأسواق من متاع "(٤٠).

ه) (هـ) تعيين القضاة دون الأخذ بأبسط معايير النزاهة والكفاءة المهنية. فهناك قضاة يقول الشوكاني " يعجزون عن فهم شروط الوضوء وفرائضه وسننه ، بل يقصرون عن فهم مباحث أبواب قضاء الحاجة " (٤١).

و) التلاعب بأحكام الشرع من مقصري القضاة والمفتيين ، الذين يقومون بكتابة وإصدار أحكام مخالفة لما شرعه الله لعباده . فهذه الأحكام تقود كما يقول الشوكاني إلى " خطوب جسيمة وفتن كبيرة " (٤٢).

ز) تغاضي كبار المسئولين عن ما يمارسه القضاة والولاة من فساد وظلم تجاه أفراد المجتمع . وصمتهم عن ما يلحق بشروط شغل الوظائف من انتهاكات خطيرة.(٤٣).

إن النقطة الجديرة بالتوقف أمامها من النقاط المذكورة أعلاه تتمثل في النقطة الأخيرة(ز).

إن هذه النقطة تكشف عن تحديد الشوكاني للحاضن الأول للفساد في عهده والمتمثل بالفساد السياسي والذي يشير إليه بمسئولي الدولة . فانحراف هؤلاء المسئولين عن الأسس والمبادئ والشروط المنظمة لشغل الوظائف ، وتغاضيهم وصمتهم عن ما تتعرض له تلك الأسس من انتهاكات خطيرة ، يعبر عنه بالمصطلح العلمي المعاصر (الفساد السياسي). والذي تبنى عليه وتترتب عنه أشكال الفساد الأخرى ، كالفساد المالي والإداري والاجتماعي .

ISSN : 2410-1818

إن هذا التحليل في رأينا يعد شكلاً مبتكراً من أشكال التحليل الواقعي والموضوعي الذي يكشف عن امتلاك الشوكاني لقدرات وإمكانيات استثنائية على التحليل والتشخيص قياساً بعلماء ومفكري عصره .

الظلم الاقتصادي والاجتماعي :

تميزت أوضاع المجتمع اليمني الاقتصادية والاجتماعية في عهد الشوكاني بانتشار الفقر ، وسوء الأحوال المعيشية ، واتساع نطاق الظلم الاقتصادي والاجتماعي ، ليشمل قطاع واسع من أفراد المجتمع . هذا ما أمكننا رصده أثناء قراءتنا وتحليلنا لوصف الشوكاني للأوضاع في عهده ، وفي إطار مقاربته لقضية الظلم الاجتماعي والاقتصادي .

والملاحظة الجديرة بالتوقف أمامها تتمثل في أن الشوكاني لا يكتفي بوصف المشكلة ، ولكنه يقوم بإعمال عقله الفاحص والناقد باحثاً عن الأسباب التي تدفع باتجاه انتشار الظلم الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع . ليجدها تكمن في السياسات المالية والجبائية للدولة في عهده . فكيف توصل إلى ذلك الرابط الذي يربط بين السياسات المالية والجبائية ، وبين سيادة الظلم الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع ؟

نلاحظ هنا إن طريقة الشوكاني للربط بين السياسات المالية والجبائية ، وبين مسئوليتها في سيادة الظلم تتجسد من خلال قيامه بتحديد العناصر الرئيسية لتلك السياسات والتي يخضعها للتحليل والنقد . وفي ضوء ذلك التحليل يقوم بتحديد دورها وتبيان علاقتها بمسألة الظلم الاجتماعي والاقتصادي الواقع على أفراد المجتمع .

في هذا الإطار سنقوم بالتوقف أمام شكلين من أشكال السياسات المالية والجبائية أخضعهما الشوكاني للرصد والتحليل ليبين دورهما وعلاقتهما في سيادة الظلم الاجتماعي والاقتصادي في عهده وعلى النحو الأتي :

إعانة الجهاد :

يصف الشوكاني هذا النوع من الجبايات التي يفرضها بعض الأئمة على أفراد المجتمع تحت دعوى الجهاد مخالفة للشريعة الإسلامية ، وزيادة على ما فرضه الله تعالى على الرعايا .

ISSN : 2410-1818

ويؤكد الشوكاني أن ما يقوم به الحكام ليس من الجهاد .. بل هو شبيه بالحروب الجاهلية تقف وراءه أهداف ومطامع شخصية وسياسة في إطار الصراع والتنافس الذي يدور بين مختلف الأئمة على السلطة وكرسي الحكم " فهذا يريد أن تكون الولاية فيها له، والأخر يريد أن تكون الولاية فيها له . ولا يقتصر الأمر في نظر الشوكاني على انتزاع أموال الرعايا عنوة ، بل وفي إجبارهم ودفعهم للمشاركة في القتال الدائر وتعريض حياتهم وممتلكاتهم للدمار والهلاك . إن هذا يقول الشوكاني " ليس إلا من الظلم البحت، والجور الخالص"(٤٤) .

فرض غرامات متنوعة والاستمرار في تغيير العملة وزيادة مقدار الضرائب :

يعتبر الشوكاني هذا النوع من السياسات من أرباب الظلم وجميعها مخالفة للشريعة الإسلامية . وتلجأ إليها الدولة غالباً وذلك بهدف معالجة الأزمات المالية التي تعصف بها وهي من الأسباب التي تفاقم من حدة الظلم الواقع على أفراد المجتمع بناء على تحليل الشوكاني .

من كل ما تقدم يتبين لنا إن الشوكاني ينطلق في موقفه من السياسات المالية والجبائية وما تضيفه من أعباء كبيرة تثقل كاهل أفراد المجتمع، انطلاقاً من موقعه كعالم مجتهد. وفي إطار الدفاع عن الشريعة ضد كل فهم منحرف لها، ومن زاوية اجتهاد شخصي له لبعض الأحكام . ولكن ليس الشريعة الإسلامية وحدها ما يجعل الشوكاني يدرك حجم مشكلة الظلم الاقتصادي والاجتماعي ودلالتها والآثار الخطيرة المترتبة منها . فهناك أيضاً الواقع الاجتماعي. أي واقع مجتمعه اليمني الذي يجد في بعض أحداثه ووقائعه ما يجعل من قضية الظلم تسيطر على كامل تفكيره ويستشعر أهميتها وخطورتها .

من هنا وجه الشوكاني رسالته إلى إمام عصره ناصحاً له "بضرورة العدل في الرعية والاقتصار في المأخوذ منهم على ما ورد به الشرع وعدم مجاراته في شيء وإخلاص النية في ذلك وإشعار الرعية في جميع الأقطار والعزم عليه على الاستمرار" (٤٥).

لقد كان الشوكاني في موقفه ومشورته لرأس الحكم ، بمثابة من يوجه رسالة لذلك النظام ، فحواها إعادة النظر في أساليب التعامل مع المحكومين ، واعتبار العدل أساس الحكم .

ISSN : 2410-1818

ثالثاً : رؤية الشوكاني للإصلاح الفكري والاجتماعي

أدرك الشوكاني بعد وصفه وتشخيصه لأوضاع ومشكلات المجتمع اليمني في عهده ، أنها ليست أوضاعاً حتمية ، وإنما لها أسباب قد توافرت ، وبالتالي فإن مسألة إزالتها والقضاء عليها يعد أمراً ممكناً إن توافرت شروط إزالتها .

ومن موقعه الفكري والاجتماعي عمل الشوكاني على صياغة وتقديم رؤيته للإصلاح الفكري والاجتماعي والتي حاول من خلالها المساهمة في إصلاح أوضاع مجتمعه ، ومعالجة مشكلاته .

ومن واقع كتاباته الفكرية فإن المجالات التي استهدفتها رؤية الشوكاني للإصلاح تتمثل في الآتي :

إصلاح الفكر الإسلامي :

لقد تبين للشوكاني بعد قراءاته التحليلية - النقدية لمشكلات وأوضاع مجتمعه مقدار العلاقة الترابطية القائمة بين سيطرة التقليد والتعصب وأنصارهما من "شياطين المقلدة والمتعصبين " على مفاصل الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية ، وبين انتشار الجهل والتخلف وشرعنه الفساد والظلم الاجتماعي والاقتصادي في واقع المجتمع اليمني . حيث تحول الفكر الإسلامي، وفي المقدمة الفقه الإسلامي ، باعتباره علم مميز لهذا الفكر على أيدي المقلدين والمتعصبين ، من أداة إيجابية فاعله تخدم المجتمع إلى أداة سلبية ومعطلة .

ولإعادة الأمور إلى مجراها الطبيعي ، كان لابد من إعادة الفكر الإسلامي إلى أصله الصحيح المبني على تقاليد الاجتهاد التي تؤسس لسياسة اجتماعية تكرس العدل وتصب في مصلحة الإنسان .

من أجل ذلك الهدف وظف الشوكاني قدراته الفكرية ، وخبراته بالواقع الاجتماعي والسياسي اليمني ، لتقديم رؤيته لإصلاح واقع الفكر الإسلامي في اليمن والعالم العربي والإسلامي . تلك الرؤية التي تتضمن نبذ التقليد والتعصب والدعوة إلى الاجتهاد وإعمال العقل .

ISSN : 2410-1818

في رؤية الشوكاني إن الاجتهاد حرية للعقل ، ولا يمكن التنكر لهذه الحرية ، إلا حين يسود التقليد والتعصب . فيعرض العقل عن النظر في الأدلة الشرعية واستنباط الأحكام منها ، ويحل أقوال الفقهاء وأئمة المذاهب مقام الكتاب والسنة. كما يعرض العقل أيضاً عن المساءلة والنقد والتفكير بموضوعية مما يقود إلى جمود الفكر .

على أن الشوكاني وهو يدعوا إلى إعادة الإعتبار للعقل بالعودة إلى الاجتهاد. لا يغفل أن يحدد شروط الاجتهاد في موافقة مقاصد الشريعة الإسلامية وقاعدتها الذهبية المبنية على جلب المصالح ودفع المفاسد . ولكن هل يصلح المنهج الرئيسي للإجتهاد في إستنباط الأحكام التي تؤثر في السياسة الاجتماعية؟

إن الشوكاني على وعي تام ، بأن المناهج والقواعد الأصولية تعاني من الجمود مع توقف حركة الاجتهاد في معظم أقطار العالم العربي والإسلامي. لذلك عمل الشوكاني على إصلاح بعض القواعد الأصولية كالإجماع والقياس والاستحسان. وتعد أول محاولة للإصلاح في الفكر الإسلامي الحديث(٤٦). وبموازاة دعوته للاجتهاد ، دعا الشوكاني إلى إعمال العقل وتفعيل دوره ووظيفته . فما الخطوات التي أنتهجها حتى يعيد للعقل عافيته وحيويته ؟ ما الوسائل التي أبتكرها لكي ينتقل الفكر من طور الجمود والركود إلى طور التجديد والإبداع ؟.

في هذا السياق نجد أن الشوكاني يتبع أسلوباً رصيناً وواقعياً لمعالجة ما أصاب العقل من شلل أعاقه عن أداء دوره ، وعن التفكير بموضوعيه . فيبدأ بالبحث عن الأسباب ويجدها في شيوع وسيطرة التقليد والتعصب وأنصارهما على الفكر والحياة الفكرية. ينتقل بعدها إلى رصد وتحليل ونقد مظاهر ونتائج التقليد والتعصب على الواقع الفكري والاجتماعي (تعطيل الفكر ، غياب التفكير الموضوعي ، عدم القدرة على التجديد ، انتشار البدع والخرافات ، التلاعب بأحكام الشرع ، شرعنة الفساد والظلم ..) . وبناءً على المعطيات والمؤشرات التي أفرزتها عملية التحليل والنقد . يقدم الشوكاني رؤيته لكيفية إعمال العقل وتفعيل دوره ، وذلك بإتباع الخطوات المنهجية التالية:

أ) إخضاع جميع الآراء والأفكار للتحليل والتمحيص والمساءلة والنقد. وعدم التسليم بقبولها تحت مبرر الموقع والمكانة التي يحتلها قائلها ومنتجها سواء كان من كبار

ISSN : 2410-1818

العلماء والمفكرين ، أو من رؤساء الفرق والطرق والجماعات. فجميع هؤلاء مجتهدين ، واجتهاداتهم سواءً كانت على شكل أفكار أو أراء أو أحكام يراها الشوكاني ليست ملزمة لسواهم ، ولا تعتبر حجة على المسلمين للقبول بها وفي ذلك يقول: " فإنك إن جعلت إجتهاد أي مجتهد حجة عليك وعلى سائر العباد كنت قد جعلته شارعاً لا متشرعاً ، ومكلفاً لا مكلفاً (٤٧).

ب) الالتزام بالموضوعية "الإنصاف" فالإنصاف من منظور الشوكاني هو "الخصلة الموجبة للأعلمية" (٤٨). والفكر الرصين الموضوعي لا يمكن أن يؤسسه إلا الباحث "المنصف" . ولماذا الباحث المنصف وليس سواه القادر على إنتاج الفكر الموضوعي الواقعي ؟ يجيب الشوكاني : "لأن المنصف ليس لديه هوى ولا حمية ولا عصبية لمذهب" (٤٩).

ج) تنويع المصادر المعرفية والتي تؤسس لعقل منفتح يتمتع بقدرات تحليلية متعددة تساعد على مقاربة المشكلات من مرجعيات معرفية متنوعة .

إن عقلاً يستند إلى الخطوات المنهجية المذكورة أعلاه لاشك بأنه يستطيع أن يسترد عافيته ويؤدي وظيفته بطريقة تساعد على الانتقال بالفكر الإسلامي من مرحله الجمود إلى مرحلة التجديد والإبداع.

إصلاح النظام التعليمي :

أستشعر الشوكاني أهمية التعليم ودوره في الانتقال بأوضاع المجتمع من طور معاناة الجهل والفتن والظلم ، إلى طور التنعم بمعطيات التعليم ومنها انتشار الوعي وتحسين أحوال الناس المادية ، وتحقيق الإستقرار الاجتماعي .

أن هذا الاستشعار أستمد حضوره لدى الشوكاني أثناء دراسته وتشخيصه للمشكلات والأمراض الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع اليمني في عهده . وهذا ما يفسر لنا دعوته المستمرة إلى نشر وتعميم التعليم إلى جميع مناطق اليمن ، وإطلاقه للناس كافة بمختلف فئاتهم وشرائحهم الاجتماعية بما فيه تعليم الفتاة في أرياف اليمن .

في الوقت الذي يدعو فيه الشوكاني إلى نشر وتعميم التعليم. فإنه لا يقصد به نوع التعليم الذي كان سائداً في عهده . فقد تبين لنا بعد قراءتنا وتحليلنا لرؤية الشوكاني المتعلقة بإصلاح التعليم. أن هذا المفكر لم يصل إلى تلك القناعة الفكرية بضرورة

ISSN : 2410-1818

الإصلاح والتجديد إلا بعد مراجعته وتحليله للنظام التعليمي السائد في عهده ، واكتشافه أن هذا النظام عبارة عن نظام تعليمي مغلق يصب باتجاه تفعيل النقل والتقليد ، والإيمان بالبدع والخرافات(٥٠) .

من هنا أعد الشوكاني منهجاً تعليمياً مختلفاً عن المناهج السائدة في عهده ، تتجسد ملامحه الرئيسية في النقاط التالية :

أ) تدريس الطلاب العلوم الشرعية. بالإضافة إلى العلوم العقلية. على سبيل المثال لا الحصر : علوم الرياضيات ،الكيمياء ، الهندسة ، الفلسفة ، المنطق فهذه العلوم يقول الشوكاني: " من أعظم ما يصقل الأفكار بالإضافة إلى أنه على وعي وإدراك لدور تلك العلوم العقلية في دفع المتعصبين والمقلدين المعاديين لها . وفي ذلك يقول : "لقد وجدنا لكثير من العلوم التي ليست من علم الشرع نفعاً عظيماً وفائدة جليلة في دفع المبطلين والمتعصبين وأهل الرأي البحت ومن لا انشغال له بالدليل " (٥١).

ب) تقسيم الطلاب إلى قسمين بحسب الاختصاص قسم يضم طلاب العلوم الشرعية ، وآخر يضم طلاب العلوم العقلية .

ج) صياغة وإعداد منهجين مختلفين بحسب الاختصاص حيث راعا فيه الشوكاني المسائل المتصلة بالفروق الفردية والميول والمستويات الخاصة بالطلاب (٥٢).

د) وضع معايير وصياغة وسائل تقود إلى تنمية التفكير المستقل والموضوعي لدى الطالب والذي يقود بدوره إلى الإبداع الفكري والتجديد .

إصلاح الجهاز الإداري للدولة :

يبني الشوكاني رؤيته لإصلاح الجهاز الإداري للدولة في ضوء رصده للأسباب التي تقف وراء ما يتعرض له مجتمعه من ظلم وفساد. وتقاعس الدولة عن القيام بواجباتها ، وفساد أجهزتها القضائية والإدارية . لذلك نراه في رؤيته الإصلاحية يولي اهتمامه لمسألتين رئيسيتين هما :

قيام الدولة بواجباتها :

أدرك الشوكاني أهمية الحضور القوي والفاعل للدولة ودوره في تحقيق الاستقرار الاجتماعي . كما أدرك في الوقت ذاته مقدار العلاقة الترابطية بين ضعف حضور الدولة ،

ISSN : 2410-1818

وبين سيادة مظاهر الفوضى ومنطق الغاب وانعدام الأمن الاجتماعي في المجتمع . وحول ذلك يقول : " لولا هيبة السلطان والسلطة عند المخالفين والمفسدين لقام كثيراً منهم بنهب الضعفاء ، وهتك حرمهم وتخويفهم ، ومغالبتهم على ما تحت أيديهم من أملاكهم ، ونشر الفساد في الأرض ، ولهذا ترى من لا سلطان عليه في جميع البلاد يفعل ما ترجف منه القلوب وتذرف منه الدموع " (٥٣).

وعلى الرغم من أهمية الحضور القوي للدولة في جميع أجزاء البلاد . إلا أن ذلك الأمر ليس كافياً للتأكيد على قيام الدولة بواجباتها تجاه أفراد المجتمع.

فالشوكاني في إطار مشروعه لإصلاح الدولة يبين لنا أن هناك واجبات ومسئوليات أكبر تقع على عاتقها ، وينبغي أن لا تتهاون أو تتقاعس عن اداءها . فمن واجباتها الاجتماعية يقول الشوكاني : " تعليم الجاهل وإرشاد الضال وإصلاح عقائد الرعية .. وإصلاح طرق المسلمين وتأمين سبلهم ونشر التعليم وإرسال المدرسين وبناء المدارس والإنفاق على ذلك كله من بيت مال المسلمين "(٥٤). وضمن الواجبات الاقتصادية للدولة تجاه الأفراد دفع الظلم الاقتصادي الواقع عليهم ، والاقتصار في المأخوذ منهم من ضرائب وغرامات على ما ورد في الشرع ، وعدم مجاوزته في شيء . والصرف على الفقراء من أموال الزكاة والإنفاق على القضاة والجند والولاة من بيت مال المسلمين"(٥٥).

وإذ يؤكد الشوكاني على ضرورة قيام الدولة بواجباتها فإنه يحرص على ربط تلك الواجبات بما يحقق مقاصد الشريعة الإسلامية.

إصلاح جهاز القضاء :

يولي الشوكاني إصلاح جهاز القضاء أهمية كبيرة في مشروعه لإصلاح الجهاز الإداري للدولة وذلك لما للقضاة والجهاز القضائي من علاقة مباشرة بالمجتمع وبقضاياه . وباعتبار فئة القضاة هم أكثر الفئات المهيأة لإصلاح المجتمع من جهة ، ولصياغة العلاقات الايجابية بين الدولة والمجتمع من جهة أخرى .

لذلك احتلت شروط ومعايير شغل وظائف القضاء أهميتها في تفكير الشوكاني ورؤيته . فالكفاءة العلمية والمهنية ، والنزاهة والورع، تعد شروطاً ومعايير لشغل وظيفة القضاء والإفتاء . وأمثال هؤلاء القضاة ممن تتوفر فيهم شروط الكفاءة والعلم و النزاهة

ISSN : 2410-1818

باستطاعتهم كما يقول الشوكاني: "الأخذ بيد الظالم وإرشاد الضال، والدفع عن الرعية من ظلم ممن يظلمهم والمكاتبة لإمام المسلمين بما يحدث في القطر الذي هو فيه (القاضي) مما يخالف الشريعة المطهرة "(٥٦).

أداء العلماء لأدوارهم الفكرية والاجتماعية :

هناك ثلاثة عناصر وجهت نظر الشوكاني إلى إن مهمة إصلاح المجتمع اليمني بصورة عامة، يتمثل في قيام العلماء بأداء أدوارهم الفكرية والاجتماعية وهذه العناصر تتمثل في الأتي :

- القضايا والمشكلات الاجتماعية التي كان فكر الشوكاني مرتبطاً بها . فهذه قد وجهت بدورها النظر إلى ما ينبغي أن تكون عليه مهمة علماء الإسلام . فليست هذه المهمة في الانعزال عن مجريات الواقع المجتمعي . فإن هذا يتناقض مع المفهوم الإسلامي لواجب العالم خاصة وأنه مطالب بتوضيح المعنى الحقيقي لتعاليم الدين ، ودفع كل الإنحرافات في تأويل نصوص الشريعة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحريم الظلم (٥٧).
- وعي الشوكاني باللحظة التاريخية النوعية التي يعيشها المجتمع اليمني في عهده ، والمشاكل النوعية التي عليه أن يواجهها ويساهم في حلها ، وقد أدى به ذلك إلى أن يدرك أهمية وضرورة مشاركة العلماء في مشروعه للإصلاح الاجتماعي والفكري.
- شمولية ممارسة الشوكاني في العمل والتنظير ، أي الممارسة الاجتماعية والسياسية والفكرية .

وليس كل العلماء من تقع على عاتقهم مهمة الإصلاح الفكري والاجتماعي . ولكن - المجتهدين والتقاة - منهم . وهؤلاء كما يؤكد الشوكاني وبعد استقرائه للتاريخ العربي الإسلامي هم الأكثر قدرة على إصلاح المجتمع.

من هنا يضَّمن الشوكاني رؤيته للإصلاح الاجتماعي والفكري بدعوة العلماء المجتهدين الثقاة لأداء أدوارهم . ويصف تلك الأدوار بأنها " من أوجب الواجبات على أهل العلم ، وأهم المهمات "(٥٨). وأن يكون ذلك عن طريق تقلدهم للمناصب . وعلى وجه الخصوص مناصب القضاء والإفتاء. فهذه المناصب يقول الشوكاني : " إذا لم تربط بهم

ISSN : 2410-1818

ضاعت ، وإذا لم يدخل فيها الأخيار تتابع فيها الأشرار ، وإذا لم يقم بها أهل العلم قام بها أهل الجهل ، وإذا أدبر عنها أهل الورع أقبل إليها أهل الجور . فكيف أقول هذا وأهل العلم هم المأمورون بالحكم بين الناس بالحق والعدل والقسط " (٥٩).

في نهاية هذا المحور وبعد أن أخضعنا فكر الشوكاني لعملية تحليل سوسيو معرفي بدء بتحديد وتحليل الشروط الفكرية والاجتماعية -التاريخية التي أنطلق منها فكره ، مروراً بتصنيف ودراسة وتحليل القضايا التي تقع ضمن دائرة فكره وتفكيره وممارسته الاجتماعية والسياسية ، وإثبات صلتها بالتفكير والفكر الاجتماعيين ، وانتهاء بتحليل ومقاربة رؤيته ومشروعه للإصلاح الفكري والاجتماعي . فإننا نخلص من ذلك كله إلا أن الشوكاني يمتلك فكراً اجتماعياً ، وبإمكاننا تصنيفه كمفكر اجتماعي ، وأن القضايا والرؤى والمشاريع التي توقفنا أمامها سابقاً ، تشكل في مجملها أهم معالم وملامح فكره الاجتماعي.

رابعاً : الشوكاني وموقعه في تاريخ الفكر الاجتماعي العربي الحديث

بعد أن تبين لنا أن الشوكاني يمتلك فكراً اجتماعياً وبإمكاننا تصنيفه كمفكر اجتماعي . وإن القضايا والرؤى التي توقفنا أمامها تشكل في مجملها أهم معالم فكره الاجتماعي . يتبقى أمامنا إنجاز المهمة البحثية المتعلقة بتحديد موقع الشوكاني من فكر المرحلة التأسيسية في تاريخ الفكر الاجتماعي العربي الحديث (١٧٩٨ -١٩١٤) .

ولتحقيق الهدف أعلاه ينبغي تحديد الكيفية التي يمكن من خلالها أن ندمج بها الشوكاني وفكره ضمن تاريخ ممكن لذلك الفكر ، وضمن رواده الأوائل .

في هذا الإطار يبرز السؤال التالي : من أي منظور ، وبأي وسيله منهجية ملائمة ، يمكن أن ندمج الشوكاني وفكره الاجتماعي ضمن تاريخ الفكر الاجتماعي العربي الحديث ؟

في رأينا أن المنهج المقارن يكون مطلوباً لتحقيق الهدف أعلاه ، وعن طريق المقارنة الاستدلالية ، التي تقوم على أساس إثبات وجود عناصر متماثلة في المسائل والقضايا المقارن بينهما ، دون أن تطلب إثبات تأثيرات ، مع مراعاة الفروق ، والحرص على أن لا تؤدي تلك المقارنة إلى السقوط في تعميمات زائفة غير مطابقة للواقع (٦٠).

ISSN : 2410-1818

أن هذه المقارنة يقصد من خلالها ، أن نثبت الأسبقية الزمنية ، وبالتالي المبدئية للشوكاني في بعض القضايا والتحليلات والرؤى بإعتباره مؤسساً لها ومفتتحاً للتفكير فيها وعلى النحو الأتي :

١) التماثل الأول بين مفكري المرحلة التأسيسية للفكر الاجتماعي العربي الحديث (١٧٩٨ -١٩١٤م) على مختلف تياراتهم واتجاهاتهم ، وبين الشوكاني يتجسد في أنهم جميعاً يتفقون على رفض الحاضر أو الواقع المعاش ، ويجمعون على سوء الحال وينادون بضرورة إصلاحه أو تغييره (٦١) .

٢) أرجع كل من الشوكاني ومفكري المرحلة التأسيسية في وصفهم وتشخيصهم لأوضاع مجتمعاتهم ، وردوها جميعاً إلى أسباب دينيه وأخلاقية وإجتما -سياسية. كما أن البعد الأساسي في تلك القضايا يتمثل في تعامل هؤلاء المفكرين بما فيهم الشوكاني مع مشخص ملموس ينبغي إصلاحه أو تغييره(٦٢).

٣) إن الأطروحات الأساسية عند معظم مفكري المرحلة التأسيسية ، وعند الشوكاني ، تتمثل في أن عوامل نهوض المجتمعات تقوم على تحرير العقل من الخرافات والأوهام ، وتحرير الفكر من قيود التقليد والتعصب ، وفتح باب الاجتهاد في المسائل الدينية والاجتماعية .

٤) يتقاسم الشوكاني مع مفكري المرحلة التأسيسية الدعوة إلى نشر وتعميم التعليم وإطلاقه للناس كافة بمختلف شرائحهم وفئاتهم الاجتماعية دون تمييز.

٥) دعا الشوكاني إلى عدم التمييز الاجتماعي ضد المرأة والفتاة في التعليم والميراث ، وقام بالتأصيل لذلك فكرياً وشرعياً . ويلتقي معه في تلك الدعوة مفكري المرحلة التأسيسية للفكر الاجتماعي العربي الحديث .

٦) أدرك الشوكاني أن منظومة التعليم في عهده تكرس لقيم النقل والتقليد وتصب عملياً في طاحونة التعصب المذهبي وتقود إلى الجمود الفكري . لذلك دعا إلى إصلاح النظام التعليمي ، وأنجز منهجاً تعليمياً مبتكراً يساعد على تنمية التفكير الحر والمستقل . ولقد شغلت الدعوة إلى إصلاح النظام التعليمي حيزاً أساسياً من تفكير وفكر المرحلة التأسيسية للفكر الاجتماعي العربي الحديث .

ISSN : 2410-1818

٧) سعى الشوكاني لترجمة رؤيته للإصلاح الفكري والاجتماعي إلى برنامج عملي . وذلك أثناء تقلده لمهام إدارية وسياسية مباشرة في الدولة (قاضياً للقضاة ومستشاراً) . وكلها مؤشرات دالة على أشكال من الفعالية العقلانية الموصولة بمجال التدبير السياسي والاجتماعي المستمد من تجارب التاريخ الإسلامي. وهي ذات الأشكال التي بلورها لاحقاً خير الدين التونسي كما نعاينها في نص "أقوام المسالك في معرفة أحوال الممالك". وكما نعاينها أيضاً في نص "مناهج الآداب العصرية في مناهج الأدب المصرية " لرفاعه الطهطاوي ، والمستمدة من تجارب التاريخ الأوروبي الحديث (٦٣).

٨) إن الحل لتحقيق أهداف الإصلاح الفكري والاجتماعي في نظر الشوكاني يقع على عاتق العلماء عن طريق قيامهم بالمهام المنوطة بهم كما أمر بها الدين الإسلامي . ولقد سعى الشوكاني إلى تأصيل ذلك فكرياً وشرعياً بل وتجاوز إطارها الشرعي والفكري، إلى اعتبارها أحد جوانب الإصلاح الاجتماعي والفكري . وهو ذات الحل الذي بلوره لاحقاً المفكر عبد الرحمن الكواكبي (٦٤).

بعد أن قمنا بالبحث عن المتماثل من القضايا والتحليلات والرؤى والحلول عند الشوكاني من جهة ، ورواد فكر المرحلة التأسيسية في الفكر الاجتماعي العربي الحديث من جهة ثانية . ننتقل إلى المستوى الثاني من المقارنة والتي تطلب الفروق على مستوى المفاهيم ، والوعي بالخلل الفكري والاجتماعي ، والدعوة إلى التجديد والإصلاح .

في هذا السياق نجد أن أسئلة التجديد والإصلاح قد تبلورت في فكر الشوكاني قبل عقدين من مجيء الحملة الفرنسية على مصر . واستغرقت هذه الطفرة الفكرية الإصلاحية لدى الشوكاني الفترة الممتدة من (١٧٨٥ -١٨٣٤م) . في حين تبلورت أسئلة التجديد والإصلاح في الفكر الاجتماعي العربي الحديث بعد مجيء الحملة الفرنسية على مصر بربع قرن على يد رفاعه الطهطاوي .

كما أدرك الشوكاني حاجة مجتمعه اليمني إلى مشروع للإصلاح الفكري والاجتماعي بناء على قراءة تحليلية – نقدية لأوضاع مجتمعه ، وما يمر به من تحديات وأزمات تكاد بحسب وصف الشوكاني لها أن تطيح بالبلاد والعباد . وفي إطار من الوعي والإدراك لما تعانيه المجتمعات العربية الأخرى من أزمات تكاد تتشابه في مظاهرها الفكرية والاجتماعية والسياسية مع ما تمر به بلاده .

ISSN : 2410-1818

في حين أدرك مفكرو المرحلة التأسيسية في الفكر العربي الحديث ، حاجة المجتمعات العربية إلى مشاريع للإصلاح والتجديد في ضوء عامل المقايسة ووعي الفارق بين ما وصلت إليه أوروبا من نهضة حضارية حديثة في القرن التاسع عشر الميلادي (٦٥)، وما آلت إليه أوضاع المجتمعات العربية من جهل وتخلف وجمود . فنشأ بذلك السؤال المركزي للفكر العربي الحديث لماذا تقدم الغرب وتخلف العرب والمسلمون وأين يكمن الخلل ؟

في الوقت الذي لجأ فيه مفكروا المرحلة التأسيسية للفكر الاجتماعي العربي الحديث إلى مفاهيم الفكر الاجتماعي والسياسي الأوروبي الحديث ، وعملوا على تعريبها وتأويلها وإيجاد المرادف الإسلامي لها . مثل: (الديمقراطية ، نواب الأمة ، حرية الفكر ، التسامح ، الحالة الطبيعية ، مبدأ فصل السلطات ، الدولة الوطنية، المواطن)(٦٦).

نجد الشوكاني قد أستند إلى مفاهيم الفكر الإسلامي مثل : (الاجتهاد، التقليد ، التعصب والمتعصبة ، أهل الحل والعقد ، الشورى ، الرعايا) .

من كل ما تقدم نخلص إلى أن الشوكاني يمتلك أسبقية زمنية بل ومبدأية في ما أستند إليه من تحليلات موضوعيه لبعض القضايا والمشكلات الاجتماعية. وفيما قدمه من رؤى ومقاربات تجاوزت إطارها الشرعي والفكري إلى اعتبارها أحد جوانب الإصلاح الاجتماعي وآلية من آلياته .

لذلك كله ، فإننا نرى أن المكان الطبيعي للشوكاني وفكره الاجتماعي يقع ضمن فكر ومفكري المرحلة التأسيسية لتاريخ الفكر الاجتماعي العربي الحديث (١٧٩٨ - ١٩١٤م) .

ISSN : 2410-1818

خاتمة واستنتاجات :

حاول الشوكاني تشخيص أوضاع مجتمعه ، وما يعانيه من مشكلات وأزمات ، وقد ردها إلى أسباب دينية وأخلاقية واجتما -سياسية. وتكون الحل لديه برفض التخلف والظلم والجهل والتعصب المذهبي ، عن طريق الدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد وإعمال العقل ونشر وتعميم التعليم في كل قرى ومدن اليمن. وعدم التمييز الاجتماعي للمرأة في الميراث الشرعي ، وللفتاة في التعليم . وضرورة أداء العلماء والمفكرين لأدوارهم الفكرية والاجتماعية . فضلاً عن قيام الدولة بمسئولياتها وواجباتها تجاه أفراد المجتمع .

ولم يكن بوسع الشوكاني أن يدرك أن المشكلات والأزمات التي يعاني منها مجتمعه تشبه البنية المركبة المتعددة الأبعاد والمكونات ، وأن لها ارتباطاتها المتبادلة في أبعادها الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية(٦٧). فذلك الفهم تنتجه العلوم الاجتماعية الحديثة التي ترتكز في قراءتها وتحليلها للواقع الاجتماعي ولمشكلاته ولأزماته على منهجيات علمية ونظريات اجتماعية محددة . ولكن - هذا الأمر - لا يقلل من أهمية المحاولة الفكرية للشوكاني وتطلعها لتجاوز أزمة الجمود الفكري والاجتماعي الذي عانى منها المجتمع اليمني آنذاك.

إن فكر الشوكاني الاجتماعي نتاج طبيعي لمجمل الظروف التاريخية والحقائق الاجتماعية والمعرفية والعلمية لعصره . وليس معنى ذلك أنه نتاج سلبي . بل الأحرى القول أنه فكر إيجابي واقعي . وإيجابيته وواقعيته تكمن في عدم تبريره لواقعه الاجتماعي والدفاع عنه. وفي تحديه لمشكلات وأزمات المجتمع الذي ينتمي إليه بالتحليل والنقد والمقاربة والسعي إلى عزل عناصر التخلف ومحاربتها ، والدعوة إلى نشر عناصر التجديد والإصلاح ومساندتها .

يكفي الشوكاني أنه حاول ترجمة رؤيته للإصلاح الفكري والاجتماعي إلى الواقع العملي . وذلك حين أستطاع التأثير على الأمام المنصور بن عباس وإقناعه بإصدار ما يعرف بـ"المرسوم المنصوري" الداعي لرفع الظلم ومحاربة الفساد ونشر وتعميم التعليم . وما تبعه من إجراءات عملية تمثلت بهدم دكاكين الجباية وتحريم التعامل بالربا وإرسال المعلمين إلى مختلف القرى والمناطق ومحاربة الفساد المالي والوظيفي . إلا أن التحالف الذي جمع

ISSN : 2410-1818

بين أجنحة الفساد في الحكم ممثلاً بالوزراء والولاة من جهة ، والعلماء المقلدين والمتعصبين من جهة ثانية ، أستطاع إفشال المرسوم المنصوري وإيقاف جهود الإصلاح (٦٨).

إن فكر الشوكاني الاجتماعي بما عبر عنه من قضايا ، وما صاغه وقدمه من رؤى ، يمكن النظر إليه كمحاولة ريادية في الفكر الاجتماعي العربي الحديث قوامها مواجهة التخلف والجمود الفكري والاجتماعي . وفي هذا السياق يبرز السؤال التالي : ماذا تبقى لنا اليوم من فكر الشوكاني الاجتماعي ؟ والجواب : إن فكر الشوكاني الاجتماعي ما زال يمتلك حضوره في الواقع الاجتماعي والثقافي اليمني الراهن ، فغاياته غير المتحققة ، لا تزال هي غايات المجتمع اليمني اليوم .

ISSN : 2410-1818

الهوامش :

(١) صالح سليمان عبدالعظيم : الفكر الاجتماعي في دولة الإمارات العربية المتحدة ، غانم عبيد عياش ، نموذجاً ، مجلة شئون اجتماعية ، الجامعة الأمريكية بالشارقة، العدد (٨٩) الشارقة ، ٢٠٠٥م ، ص(٦٦).

(٢) أفراح جاسم محمد : صورة المثقف العربي في ذهنية الواقع ، مجلة (إضافات)، الجمعية العربية لعلم الاجتماع العدد (٢١، ٢٠) . بيروت خريف وشتاء ٢٠١٢/٢٠١٣م، ص(٢٨).

(٣) صالح سليمان عبدالعظيم : الفكر الاجتماعي في دولة الإمارات العربية المتحدة ، غانم عبيد عياش ، نموذجاً ، مصدر سابق ، ص(٦٢).

(٤) من هذه الدراسات على سبيل المثال لا الحصر :

- حليم بركات ، المجتمع العربي المعاصر ، بيروت ١٩٩٨م .
- طيب يتزني : التفكير الاجتماعي والسياسي . أبحاث في الفكر العربي الحديث والمعاصر ، دمشق ، ١٩٨١.
- محمد الزعبي : مدخل منهجي لدراسة الفكر الاجتماعي العربي الحديث ، مجلة المستقبل العربي العدد (٣٤٦) ، بيروت ، ديسمبر ٢٠٠٧م .
- سليم بركات : تطور الفكر الاجتماعي العربي ، دمشق ١٩٨٨م .
- رضوان السيد : الدين والدولة في زمن الثورات " المنظور النهضوي ومطالبه ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٤٠٦) ، بيروت ديسمبر ٢٠١٢م .

كما تشير الدراسات أعلاه إلى أنه لا يوجد مجتمع من المجتمعات لا يملك رصيداً ما في الفكر الاجتماعي . فالفكر الاجتماعي يظل موجوداً طالما وجد البشر على ظهر الأرض . فهو يرتبط في النهاية بالمجتمعات الإنسانية والممارسات الاجتماعية .

ولكن -هناك تفاوت - في الكتابات التي تتعلق بالفكر الاجتماعي من مجتمع لآخر ، ومن دولة لأخرى ، بحسب القدر من التطور والعمق الحضاري والثقافي والتاريخي الذي وصلت إليه هذه الدول والمجتمعات. " انظر سليم بركات ، طيب تيزني ، صالح سليمان" .

ISSN : 2410-1818

(٥) هناك العديد من التحقيقات والدراسات التي تغطي جوانب مختلفة من فكر الشوكاني وعلى سبيل المثال لا الحصر :

- اشواق علي مهدي : فكر الشوكاني السياسي وأثره المعاصر في اليمن، صنعاء ٢٠٠٧م.
- عبدالغني الشرجبي : الآراء التربوية أحمد بن علي الشوكاني (رسالة دكتوراة) وقد نشرت هذه الرسالة تحت عنوان الإمام الشوكاني حياته وفكره، بيروت ، ١٩٨٨م .
- حسين العمري : الإمام الشوكاني رائد عصره ، بيروت ١٩٩٨م .
- محمد الغماري : الإمام الشوكاني مفسراً . رسالة دكتوراة ١٩٨١م .
- عبدالله السريحي : أدب الطلب ومنتهى الأرب : تحقيق ودراسة ، صنعاء ١٩٩٨م ".
- محمد بلحاج : التحرر الفكري والمذهبي عند الإمام الشوكاني ، صنعاء ١٩٩٠م.
- عبدالملك منصور : الإمام الشوكاني فقيهاً ، رسالة ماجستير ، ١٩٩٤م .
- إبراهيم هلال : الإمام الشوكاني الاجتهاد والتقليد ، القاهرة ، ١٩٧٩م.

(٦) عبدالعزيز المسعودي : المشرق العربي والمغرب العربي (١٥١٦ -١٩١٨) ، دراسة تاريخية ، صنعاء ، ١٩٩٣ ، ص (١٣٠) .

(٧) ترتبط نشأة فئة القضاة بتاريخ الدولة القاسمية . والقضاة لا ينحدرون من أصول نسبية أو اجتماعية محددة . بل -ظلت هذه الفئة مفتوحة - أمام ابناء القبائل عبر الحصول على المؤهل العلمي والذي بعد الطريق الوحيدة المؤدية إلى فئة القضاة . ولقد تشكلت لدى فئة القضاة ، بمرور الزمن - هوية اجتماعية محددة جعلت الأفراد الذين ينحدرون منها يشعرون بأنهم ينتسبون إلى أصول اجتماعية واحدة بالمقارنة مع بقية الفئات الاجتماعية .

(٨) محمد بن علي الشوكاني : أدب الطلب ومنتهى الأرب ، تحقيق ودراسة عبدالله السريحي ، صنعاء ، ١٩٩٨ ، ص (٢٩) .

(٩) المصدر السابق ، ص (٣٠) .

(١٠) المصدر السابق ص (٣١) .

(١١) المصدر السابق ، ص (٣٢) .

ISSN : 2410-1818

(١٢) يحيى محمد : القطيعة بين المثقف والفقية - دراسة معرفية ، بيروت ٢٠٠١م ، ص(٤٠).

(١٣) محمد البسيطلي : سلطة الشريعة وشريعة السلطة . أو العلاقات بين القضاة والدولة في تاريخ اليمن الحديث ، بحث في كتاب " المهاجر إلى هجر العلم في اليمن " صنعاء، ٢٠٠٦م ، ص (٢٨٨) .

(١٤) يعد القاضي الذي شغر منصب قاضي القضاة " بمثابة المرجع العلمي والفقهي" للأحكام الشرعية في اليمن ، والمشرف الرئيسي على مؤسسة القضاة في كل أنحاء البلاد .

- وأشار الشوكاني إلى تردده في قبول منصب قاضي القاضي حيث قال " فلما فارقته – أي الإمام – ما زلت متردداً نحو أسبوع . ولكنه وفد إلى غالب من ينتسب إلى العلم في مدينة صنعاء وأجمعوا على أن الإجابة وأجبه " الشوكاني ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، تحقيق حسين العمري ، دمشق ١٩٨٨م ص (٤٦٥) .

(١٥) محمد بن علي الشوكاني : أدب الطلب .. مصدر سابق ، ص(٣٣).

(١٦) لقد عاصر الشوكاني وهو في موقعه قاضياً للقضاة ومستشاراً لثلاثة من الائمة من السلالة القاسمية: المنصور بن المهدي عباس ١١٥١هـ - ١٢٢٤هـ ، المتوكل على بن أحمد المنصور (١١٧٠ -١٢٣١) ، المهدي عبدالله (١٢٠٨ -١٢٥١هـ) .

(١٧) عبدالله محمد الغرازي : إبن الأمير الصنعاني ومنهجه في كتابه سبل السلام ، إصدارات جامعة صنعاء ، صنعاء ، ٢٠٠٤م ، ص(٤٤) .

(١٨) للمزيد عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والفكرية في عهد الشوكاني أنظر :

- عبدالغني الشرجبي : الإمام الشوكاني حياته وفكره ، صنعاء ١٩٨٨م.
- حسين العمري : حركة التجديد والإصلاح في اليمن في العصر الحديث. مجلة الاجتهاد ، العدد (٩) ، ١٩٩٠م .
- أشواق مهدي : رؤية الشوكاني للتغيير السياسي مجلة شئون العصر ، صنعاء ، ٢٠٠٤م .
- الشوكاني : أدب الطلب .. مصدر سابق .

ISSN : 2410-1818

- الشوكاني : الدواء العاجل في دفع العدو الصائل ، مصر ، ١٣٤٣ هـ .

(١٩) محمد بن علي الشوكاني : الدواء العاجل في دفع العدو الصائل ، مصدر سابق ، ص(٥) .

(٢٠) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٢١) أنظر على سبيل المثال لا الحصر :

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع .
- أدب الطلب ومنتهى الأرب .
- القول المفيد في أدله الاجتهاد والتقليد .
- فتح القدير .

(٢٢) عبدالله السريحي : المقدمة الدراسة المتعلقة بمؤلف الشوكاني أدب الطلب ... مصدر سابق ، ص (٤٩) .

(٢٣) محمد بن علي الشوكاني : أدب الطلب ، مصدر سابق ، ص (١٦٠) .

(٢٤) المصدر السابق ، ص ص(٩١ -٩٢)

(٢٥) المصدر السابق ، ص (١١٤)

(٢٦) المصدر السابق ، ص (١١٥)

(٢٧) المصدر السابق ، ص ص(١٣٣، ١٢٢ -١٣٥)

(٢٨) المصدر السابق ، ص (١٤٤)

(٢٩) المصدر السابق ، الصفحة نفسها

(٣٠) المصدر السابق ، ص ص(١٥٥ -١٥٦)

(٣١) محمد بن علي الشوكاني : فتح القدير ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص (٢٤٣) أدب الطلب، مصدر سابق ، ص(٩٢) .

(٣٢) محمد بن علي الشوكاني : أدب الطلب ، مصدر سابق ص ص(٢٤٢ -٢٤٧) .

(٣٣) على سبيل المثال لا الحصر :

- الدواء العاجل في دفع العدو الصائل .
- رفع الأساطين في حكم الإتصال بالسلاطين .

(٣٤) محمد بن علي الشوكاني : الدواء العاجل ، مصدر سابق ، ص(٥).

ISSN : 2410-1818

(٣٥) المصدر السابق ص (٦) .

(٣٦) محمد بن علي الشوكاني : الرسائل السلفية في احياء سنة خير البرية ، بيروت ، ١٩٣٠، ص(٢٦) . نقلاً عن د.محمد البسيطلي، شريعة السلطة .. مصدر سابق ، ص(٣١٢) .

(٣٧) محمد بن علي الشوكاني : الدواء العاجل .. مصدر سابق ، ص(١٤) .

(٣٨) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٣٩) المصدر السابق ، ص(٦) .

(٤٠) المصدر السابق ، ص(١١) .

(٤١) محمد بن علي الشوكاني : أدب الطلب ، مصدر سابق ص(٢١١).

(٤٢) المصدر السابق ، ص (٢٤٤) .

(٤٣) محمد بن علي الشوكاني : الدواء العاجل ، مصدر سابق ، ص(١٥) .

(٤٤) محمد بن علي الشوكاني : تنبيه الأمثال إلى عدم جواز الإستعانه بخالص المال مخطوط ضمن مجموع ٥٩ - مكتبة الجامع الكبير ، ص (٧) ، نقلاً عن د. أشواق مهدي ، رؤية الشوكاني للتغيير السياسي ، مصدر سابق ، ص (١٠٣) .

(٤٥) محمد بن علي الشوكاني : أدب الطلب مصدر سابق ، ص ص(١٠٨ -١٠٩) .

(٤٦) محمد بن علي الشوكاني : أدب الطلب مصدر سابق ، ص ص(٢٤٦ -٢٥٣) .

(٤٧) المصدر السابق ، ص ص(٨٦ -٨٧) .

(٤٨) المصدر السابق ، ص (٩٠) .

(٤٩) محمد بن علي الشوكاني : أدب الطلب ، مصدر سابق ، (٨٩) .

(٥٠) المصدر السابق ، ص (٢٠٧) .

(٥١) المصدر السابق ، ص (٢٠٨) .

(٥٢) عبدالغني الشرجبي : الإمام الشوكاني : حياته وفكره ، مصدر سابق ص ص(٥١٤ -٥٣٣) .

(٥٣) محمد بن علي الشوكاني : رفع الأساطين ، مصدر سابق ، ص (٧٩) .

(٥٤) محمد بن علي الشوكاني : الدواء العاجل ، مصدر سابق ، ص ص(١٤ -١٥) .

ISSN : 2410-1818

(٥٥) محمد بن علي الشوكاني : أدب الطلب ، مصدر سابق ، ص (١٠٩) . المصدر السابق، ص ص(٢٠٦ -٢٠٧) .

(٥٦) محمد بن علي الشوكاني : الدواء العاجل ، مصدر سابق ، ص (١٤) . المصدر السابق ، ص (٢٠٨) .

(٥٧) محمد وقيدي : بناء النظرية الفلسفية ، بيروت ، ١٩٩٠م ، ص(٥٠) .

(٥٨) محمد بن علي الشوكاني : أدب الطلب .. مصدر سابق ، ص(٢١٩) .

(٥٩) المصدر السابق ، ص (٢٢٠) .

(٦٠) محمد وقيدي : المصدر السابق ، بيروت ، ١٩٩٠م ، ص(٧٣) .

(٦١) فيصل دراج : في معنى التنوير ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٣١٥) ، بيروت ، مايو ٢٠٠٥م ، ص (٩٣) .

(٦٢) فيصل دراج : المصدر السابق ، ص(٩٠).

(٦٣) كمال عبداللطيف : تيارات العقلانية والتنوير في الفكر العربي "مجلة المستقبل العربي " العدد (٣١٥) ، بيروت ، مايو ٢٠٠٥م ، ص (١٢٠) .

(٦٤) محمد جمال طاحون : وعي الكواكبي بين المرفوض والمرغوب ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٣٤٦) ، بيروت ، ديسمبر ٢٠٠٧م ، ص (٧٩) .

(٦٥) كمال عبداللطيف : تيارات العقلانية والتنوير في الفكر العربي، مصدر سابق ، ص (١١٧) .

(٦٦) علي أومليل : الإصلاحية العربية والدولة الوطنية ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٨٥ ، ص (٢٦) .

(٦٧) ناصر الذبحاني : في الأبعاد المرجعية المؤسسة لبنية الواقع الثقافي وإشكالاته التنموية الراهنه في المجتمع اليمني ، مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الخامس ، ٢٠٠٩م ، ص (٣٣٧) .

(٦٨) الشوكاني : أدب الطلب ... مصدر سابق ، ص (٢٢٤) .

ISSN : 2410-1818

المصادر والمراجع :

١) الذبحاني ناصر (٢٠٠٩) : في الأبعاد المرجعية المؤسسة لبنية الواقع الثقافي وإشكالاته التنموية الراهنة في المجتمع اليمني ، مجلة جامعة صنعاء للعلوم الاجتماعيه والإنسانية ، العدد (٥) ، صنعاء.

٢) الزعبي محمد (٢٠٠٧) : مدخل منهجي لدراسة الفكر الاجتماعي العربي الحديث ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٣٤٦) ، بيروت .

٣) السبيطلي محمد (٢٠٠٦) : سلطة الشريعة وشريعة السلطة ، كتاب "المهاجر إلى هجر العلم في اليمن" ، صنعاء .

٤) السيد رضوان (٢٠١٢) : الدين والدولة في زمن الثورات : المنظور النهضوي ومطالبه ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٤٠٦) ، بيروت .

٥) الشرجبي عبدالغني (١٩٨٨) : الإمام الشوكاني حياته وفكره ، مؤسسة الرسالة بيروت مكتبة الجيل ، صنعاء .

٦) الشوكاني محمد بن علي (١٩٩٨) : أدب الطلب ومنتهى الأرب ، تحقيق ودراسة عبدالله السريحي ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء .

٧) الشوكاني محمد بن علي (١٩٩٨) : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، تحقيق ودراسة حسين العمري ، دار الفكر ، دمشق .

٨) الشوكاني محمد بن علي (٢٠٠٦) : رفع الأساطين في حكم الإتصال بالسلاطين ، تحقيق محمد صبحي حلاق ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء .

٩) الشوكاني محمد بن علي (١٣٤٣هـ) : الدواء العاجل في دفع العدو الصائل ، القاهرة.

١٠) العمري حسين (١٩٩٨) : الإمام الشوكاني رائد عصره ، دمشق .

١١) العمري حسين (١٩٨٤) : مائة عام من تاريخ اليمن الحديث ، دار الفكر ، دمشق .

١٢) العمري حسين (١٩٨٨) : الشوكاني مجتهداً وفقيهاً ، مجلة دراسات يمنية، العدد (٣٤) ، صنعاء .

١٣) المسعودي عبدالعزيز (١٩٩٣) : المشرق العربي والمغرب العربي (١٥١٦ -١٩١٨) دراسة تاريخية ، صنعاء .

١٤) أومليل علي (١٩٨٥) : الإصلاحية العربية والدولة الوطنية (الدار البيضاء) المغرب .

ISSN : 2410-1818

١٥) جاسم أفراح (٢٠١٣) : صورة المثقف العربي في ذهنية الواقع ، مجلة اضافات ، الجمعية العربية لعلم الاجتماع ، العدد (٢١، ٢٠) بيروت .

١٦) الغرازي عبدالله محمد (٢٠٠٤) : ابن الأمير الصنعاني ومنهجه في كتابه سبل السلام، إصدارات جامعة صنعاء ، صنعاء .

١٧) بركات حليم (١٩٩٨) : المجتمع العربي المعاصر ، بيروت .

١٨) بركات سليم (١٩٨٨) : تطور الفكر الاجتماعي العربي ، دمشق .

١٩) تيزني طيب (١٩٨١) : التفكير الاجتماعي والسياسي ، أبحاث في الفكر العربي الحديث والمعاصر .

٢٠) دراج فيصل (٢٠٠٥) : في معنى التنوير ، مجلة المستقبل العربي، العدد (٣١٥) ، بيروت.

٢١) طاحون محمد جمال (٢٠٠٧) : وعي الكواكبي بين المرفوض والمرغوب ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٣٤٦) ، بيروت .

٢٢) عبد العظيم صالح سليمان (٢٠٠٥) : الفكر الاجتماعي في دولة الإمارات العربية المتحدة ، غانم عبيد عياش نموذجاً ، مجلة شئون اجتماعية الجامعة الامريكية ، الشارقة .

٢٣) عبداللطيف كمال (٢٠٠٥) : تيارات العقلانية والتنوير في الفكر العربي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٣١٥) ، بيروت .

٢٤) مهدي اشواق محمد (٢٠٠٧) : فكر الشوكاني السياسي وأثره المعاصر في اليمن ، مركز عبادي للدراسات ، صنعاء .

٢٥) مهدي أشواق (٢٠٠٤) : رؤية الشوكاني للتغيير السياسي ، مجلة شئون العصر ، العدد (١٦) ، صنعاء .

٢٦) محمد يحيى (٢٠٠٠) : القطيعة بين المثقف والفقيه - دراسة معرفية ، بيروت .

٢٧) هلال إبراهيم (١٩٧٩) : الامام الشوكاني الاجتهاد والتقليد ، القاهرة .

٢٨) وقيدي محمد (١٩٩٠) : بناء النظرية الفلسفية ، بيروت .